

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله- معقباً على هذه القضية العظيمة: وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7]: إذن الله تعالى أثبت البعث في هذه الآية إثباتاً لا مزيد عليه، حيث أمر نبيه أن يقسم بذات الرب -سبحانه- ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7]. واللام لام القسم، والنون نون التوكيد الثقيلة. إذن البعث حق، ومن كفر بالبعث؛ فقد كفر بالله العظيم، فمن أنكر البعث؛ فهو كافر.

ومنكروا البعث أصناف وطوائف:

• الدهرية، والدهرية ملاحظة يقولون: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} [الجمانية: 24]. قال قائلهم: أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر، هذه مقالة الدهرية.

• وقريب من هذه المقالة مقالة القائلين بتناسخ الأرواح، وهم أمم ممن يسكن شرق الكرة الأرضية من الهندوس والبوذيين ومن على شاكلتهم، يعتقدون عقيدة باطلة يقال لها تناسخ الأرواح، يزعمون أن الإنسان إذا مات ارتفعت روحه ثم انتسخت في جسد آخر، فإن كان في الدورة الأولى قد سلك سلوكاً حسناً وعمل عملاً حسناً؛ فإن روحه تنتسخ في بدن أرقى من البدن الذي كان فيه، وإن كان عمله في الدورة الأولى سيئاً ومشيناً؛ فإنه يعاقب بأن تنتسخ روحه في بدن حق؛ فتنتسخ في جسد صرصار أو حشرة أو غير ذلك، هكذا يعتقدون، وتظل الدنيا تدور على هذا، لا نهاية لها.

• الفلاسفة، فإن الفلاسفة ينكرون البعث الجسماني، ولا يعتقدون بوجود البعث.

• الباطنية: الذين يزعمون ليس ثمَّ بعث ولا نشور، وأن الأنبياء لم يُرسلوا من عند الله، وإنما هم قوم أذكياء، خاطبوا الناس لكي يملوهم على الاستقامة والسلوك الحسن، فقالوا: إن لكم رباً جباراً قاهراً فعلاً... إلخ، وأنه قد جعل يوماً آخر يجازى فيه المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، وليس هناك شيء من ذلك البتة، إنما هي دعوى - قاتلهم الله - هؤلاء ملاحظة.

• القرامطة الرافضة، فإنهم يعتقدون هذه العقيدة الكفرية، فهؤلاء أيضاً من منكري البعث.

ولأجل ذلك كان الإيمان بالبعث من أصول الإيمان، في جميع الشرائع لا يمكن أن توجد شريعة من عند الله إلا والإيمان بالبعث، والإيمان باليوم الآخر من أصل أركانها: قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا} [البقرة: 62]. رأيتم هذه الثلاث، هذه الثلاث هي أصول الدين في جميع الشرائع: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر. من شواهد ذلك قول الله تعالى:

• {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: 177].

• {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21].

فالإيمان باليوم الآخر من أصول الإيمان العظيمة التي تنضبط بها الأحوال والأعمال والسلوك والأخلاق وسائر الأمور، ولا يمكن أن يتصور إيمان بدون الإيمان باليوم الآخر؛ ولأجل ذلك كان من كذب بالبعث كافراً.

❖ وقد تنوعت دلالة الكتاب والسنة على إثبات البعث بأنواع الأدلة، منها:

• هذا الدليل النقلى وما شابهه، يعني الأدلة من نصوص الكتاب والسنة التي تبلغ مبلغ التواتر، فكتاب الله لا سيما القرآن المكي مليء بالآيات الدالة على إثبات البعث؛ ويكفي أن تقرؤوا جزء (عم)؛ لتروا كيف أعاد الله تعالى وأبدى في إثبات اليوم الآخر: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات: 34]، {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ} [عبس: 33]، {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: 1]، {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار: 1]، {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} [الانشقاق: 1]، القرآن المكي مليء بالأدلة الدالة على إثبات البعث، وكذا السنة النبوية.

• العقل، فإن العقل أيضاً يدل على إثبات وإمكانية البعث؛ كما قال -عز وجل-: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104]، وقال في الآية الأخرى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27]. فالذي ابتداء الخلق قادر على أعادته، فمما تعجبون أيها المنكرون؟!، يا سبحان الله! كيف تعجبون من هذا!؟

ولما جاء أبي بن خلف وهو من زعماء المشركين إلى نبينا -صلى الله عليه وسلم- بعظم رميم وقتته أمامه وقال: يا محمد، أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد أن كان رميمًا؟ قال: نعم، ويبعثك ويدخلك النار، قال الله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 78]، [79] (١).

إذن هذا دليل عقلي واضح وصریح على إمكان البعث، فالذي بدأ أول خلق قادر على إعادته بل هو أهون عليه.

• الدليل الحسي: والمقصود به: الأدلة المشاهدة المدركة بالحواس: بالسمع بالبصر بالشم بالذوق باللمس، فقد قامت أدلة حسية على إثبات البعث، يكفي أن الله تعالى ذكر في سورة البقرة نحو خمس أدلة حسية على إثبات البعث:

(١) انظر: تفسير الطبري (554/20) ط الرسالة.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

المثال الأول: أن الله - سبحانه وتعالى - حكى عن رجل: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ } [البقرة: 259]، الطعام والشراب الذي هو عرضة للخراب والفساد والتعفن بسرعة، أبقاه الله تعالى على حاله، {وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ} [البقرة: 259]. الحمار الذي هو أقوى بنية، جعله الله تعالى عظامًا بيضاء تلوح، قال: {وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا} [البقرة: 259]: فإذا بالرجل يبصر هذا الحمار الذي كان رضام من عظام، إذا بهذه العظام يتراكب بعضها على بعض، وإذا باللحم يكسوها، وإذا بها تنتهي إلى حمار ينهق، عجبًا. قال: { قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 259].

المثال الثاني: ما ذكره الله تعالى في قصة إبراهيم: {إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي } [البقرة: 260]، وفي هذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن منه ما هو أزيد من بعض حتى في التصديق، قال: { قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا } [البقرة: 260]. يعني قطع هذا الطير، واجعل على هذا الجبل جزءًا، وعلى هذا الجبل جزءًا، وذاك جزء، وذاك جزء، وهكذا في كل واحد من هذه الطيور، قال: {ثُمَّ ادْعُهُنَّ } [البقرة: 260]. فدعاهن، فالتأمت أجزاءهن، وأتين يخفغن يطرن نحو إبراهيم، {وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 260].

المثال الثالث: قصة البقرة، وهو أن رجلاً من بني إسرائيل قُتل، واختلف في قاتله، فاحتكم بنو إسرائيل إلى موسى بن عمران، فأمرهم أن يذبحوا بقرةً ثم اختلفوا في شأن البقرة إلى أن وقعوا على البقرة بالمواصفات التي ذكرها لهم موسى -عليه السلام-: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا } [البقرة: 73]. فضربوه بجزء من هذه البقرة فقام ذلك الميت من موته، وقال له موسى: من قتلك؟ قال: ابن أخي. وكان ابن أخيه قد قتله ليأخذ ميراثه.

المثال الرابع: القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} [البقرة: 243]، فروا من بلدتهم خوفاً من شيء معين، يخشون الموت، فالله - سبحانه وتعالى - قد أماتهم ثم أحياهم مرةً أخرى.

المثال الخامس: بنو إسرائيل حينما قالوا: أرنا الله جهراً. فأخذتهم الصاعقة وماتوا، قال الله: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 56].

إذن هذه أدلة حسية كثيرة، وبالإضافة إلى هذه الأدلة:

ما جرى لأصحاب الكهف الذين ناموا ثلاثمائة وتسع سنين، ثلاثمائة وبضع سنين ثم بعثهم الله - عز وجل -، وما أجراه الله تعالى على يدي عيسى -عليه السلام- إذ كان يحيي الموتى بإذن الله. إذن هذه كلها أدلة حسية تدل على إمكان البعث.

• **النظر الصحيح :** إذ أن كل عاقل يأبى أن يقبل أن يُنشئ الله الخليقة، ويرزق الله الناس ويطعمهم

ويستقيهم ويأمرهم وينهاهم ثم ينتهي الأمر بلا بعث.

ألم يكن الله -عز وجل- قد أخبرنا بأنه خلق السماوات والأرض بالحق؟ ألسنا نرى الظالم يموت ظالماً؟ والمظلوم

يموت مظلوماً؟ ألسنا نرى المحسن يموت محسناً؟ والمسيء يموت مسيئاً؟ إذن أين الحق؟، ثم فصل آخر، ثم تنمة؛ حتى يرد الحق إلى نصابه، ويجازى الظالم بظلمه، والمظلوم عن مظلمته، والمحسن على إحسانه، والمسيء بإساءته، النظر يقتضي بأنه لا بد من يوم آخر تعاد الأمور فيها إلى نصابها، وبالجملة فإن من تأمل في الأدلة؛ أيقن يقيناً لا شك فيه أنه لا بد من البعث، فقد تواترت هذه الأدلة النقل والعقل والحس والنظر الصحيح على إثبات البعث وإمكانه، إذن يجب علينا أن نعتني بهذا الجانب، وإن كنا نقرر الآن بأن من أنكر البعث فقد كفر -ولا ريب-، لكن إيمان المؤمنين بالبعث يتفاوت:

بعض الناس إيمانه بالبعث إيمان يقظ إيمان حي، كلما همَّ أن يُقدم على عمل قام وازع الله في قلبه؛ فقال: احذر

أمامك يوم آخر، أمامك بعث ونشور؛ فأحجم وأمسك عن معصية الله.

وبعض الناس يتبلد هذا المعنى في قلبه، وكأنها قصص ومرويات وآثار يسمع بها، وكأنه ليس معنياً بها فإذا أردت يا

عبد الله أن تربي نفسك، وأن تعظ نفسك موعظة حسنة، فالله الله أكثر من ذكر اليوم الآخر والموت، لا بالحد الذي

يُفسد عليك عيشك، لا، أنت لا تحتاج من مخافة الله إلا القدر الذي يحجزك عن معصية الله؛ فأقم في قلبك من مخافة

الله، ومن الاستعداد لليوم الآخر، ما يحجزك عن معصية الله ويعجزك على طاعة الله، هذا هو القدر الذي تحتاج إليه.